المدارس التعليمية الإيطالية بمدينة مصراتة وموقفها من التعليم الديني
(1911 - 1943)

د. عبدالحكيم صالح غيث محمود
قسم التاريخ : كلية الآداب ـ جامعة مصراتة

المقدمة

اتبعت إيطاليا خلال فترة تنافسها مع الدول الأوروبية على احتلال ليبيا مع بدايات القرن التاسع عشر ، وبعد احتلالها ، العديد من السياسات المختلفة منها سياستها التعليمية والتي هدفت من خلالها الى تحقيق مطامعها وأهدافها في كافة المدن الليبية ، ومدينة مصراتة واحدة منها ، ولم تكن هذه السياسة قد ابتدعتها ولكنها كانت معروفة من قبل بعض الدول الاستعمارية كإنجلترا وفرنسا وبصرف النظر عن نجاح هذه السياسة او فشلها فإن شعوب كثيرة خضعت لتطبيقها ، وهي تستحق منا الدراسة والبحث ، نظراً لما ترتب عليها من نتائج لانزال نعاني منها حتى يومنا هذا .

وتكمن أهمية هذا الموضوع في تسليط الضوء عن اهم المدارس الإيطالية و السياسة التعليمية التي اتبعتها الحكومة الإيطالية في مدينة مصراتة كأحد المدن الليبية التي وقعت تحت سيطرتها ، وابراز دور هذه السياسة فيما حدث من تأثير على مؤسسات المدينة الثقافية ، سواء كان هذا التأثير ايجابياً أم سلبياً بالإضافة الى توضيح الدور الذي قامت به المؤسسات التعليمية بالمدينة في نشر الثقافة بين السكان .

ومن أسباب اختياري لهذا الموضوع أهميته على أهل المدينة بشكل خاص وسكان ليبيا بشكل عام ، بالإضافة الى الرغبة في معرفة أهم المدارس وماهي السياسة التي اتبعتها واهم ما نتج عنها خاصة على الفترات الأولى قبيل بداية الاستعمار .

أما عن اهداف هذه الدراسة فتتمثل في معرفة السياسة التعليمية التي اتبعت من قبل الايطاليين في مدينة مصراتة وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات التالية :

س1 : ماهي السياسة التعليمية التي اتبعها الاستعمار الإيطالي بمدينة مصراتة ؟ وما هو موقفها من التعليم المدني ؟

س2 : كيف كانت أوضاع التعليم بليبيا بشكل عام قبل سنة 1900 م ؟

س3 : ماهي أنواع المدارس التي اعتمدت عليها إيطاليا في تنفيذ سياستها ؟

س4 : ما هو موقف الايطاليين من التعليم الديني بمدينة مصراتة ؟

س5 : ماهي السياسة التعليمية التي اتبعها الايطاليين ؟ وماهي الآثار المترتبة عنها ؟

ومن اجل تحقيق هذه الأهداف اعتمدت على المنهج التاريخي السردي التحليلي الذي يقوم على جمع المادة العملية وتصنيفها وتوثيقها ومن تم استخراج النتائج منها ، كذلك المنهج الاحصائي وذلك من اجل تحليل بعض الجداول التي تختص بإعداد المدارس والتلاميذ خلال تلك الفترة .

وفي ظل ما توفر من مادة تاريخية قسمت بحثي الى : مقدمة وتمهيد وثلاث مباحث وخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع .

المقدمة : تحدثت من خلالها عن أهم العناصر العلمية التي تحتويها كل مقدمة علمية

التمهيد : تناولت من خلاله لمحة عن التعليم الليبي قبيل عملية الغزو الإيطالي .

المبحث الأول : المدارس التعليمية وتم تقسيمها الى ثلاثة فقرات

تحدثنا فيها عن المدارس العربية الإيطالية ، ومن تم المدارس الإيطالية ومدارس اليهود والبعثات التبشيرية والجاليات الأوروبية .

المبحث الثاني : تطرقنا من خلاله الى موقف الاستعمار الإيطالي من التعليم الديني بمدينة مصراتة ونتائجه .

المبحث الثالث : الآثار المترتبة عن السياسة التعليمية الإيطالية .

الخاتمة : وأحتوت أهم نتائج هذه الدراسة .

قائمة المصادر والمراجع : تحتوي على اهم المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة .

ومن أهم الدراسات السابقة التي اعتمدت عليها نذكر :

1- رأفت غنيمي الشيخ ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة

2 - ليونارد أبلتون ، سياسة التعليم الإيطالي إزاء العرب الليبيين 1911 - 1922 م ، ترجمة : مصطفى المحيشي.

التمهيد

بداية وقبل الخوض في الحديث عن موضوع البحث السياسية التعليمية للاستعمار الإيطالي وموقفه من التعليم الديني ، لابد من إعطاء لمحة تاريخية موجزة عن التعليم الليبي قبيل بداية التدخل الإيطالي وتحديداً من سنة 1900م ابان العهد العثماني الثاني (1835 - 1911) حيث . كانت ليبيا ولاية عثمانية تحكم بواسطة والي عثماني يعين بواسطة السلطان العثماني ، ولم يحكم أهل البلاد أنفسهم ، حيث كانت أمور البلاد الاقتصادية "زراعة وتجارة وصناعة" بدون توجيه ورعاية وكانت الحالة الاجتماعية بالنسبة للأتراك في المنزلة الأولى ، واما أهل البلد فهم في المنزلة الثانية ، ولذا لابد ان يتأثر التعليم بهذه التنظيمات التي تعرضت للإهمال من قبل السلطة العثمانية وخاصة تعليم البنات والتعليم الفني ولم يدخل التعليم الحديث الى البلاد الا في أواخر القرن التاسع عشر وذلك بظهور النفوذ الديني السنوسي في الأجزاء الشرقية من ليبيا أي منطقة برقة ، حيث كان هناك اتفاق بين السنوسيين والعثمانيين يحدد مدى تدخل الإدارة العثمانية في شئون المنطقة ، وكنتيجة لحركة الإصلاح الدستورية في تركيا وبضغط من أوروبا بعد ما ملكت التفوق الفكري والعلمي والعسكري والاقتصادي . [1]

اما في الأجزاء الغربية أي منطقة طرابلس فقد نشأت بعض الطرق الصوفية مثل الطريقة الزروقية في أوجله ومصراتة نسبة الى **الامام احمد الزروق المصراتي** والطريقة الاسمرية الإسلامية في زليتن نسبة الى **"الامام عبدالسلام الأسمر الفيتوري"** وكان لهذه الطرق فضل كبير على التعليم في انشاء معاهد تابعة لها في القرن الخامس عشر والسادس عشر ، وكانت رسالة هذه المعاهد تخرج حفظة القرآن وتعليم العلوم الإسلامية[2]

وهكذا ظل التعليم مرتبط بالمساجد والزوايا والكتاتيب والمعاهد البسيطة ولم يخرج عن الاطار الإسلامي ، ولم تنشأ أي مدرسة نظامية او فنية او مهنية في ذلك العهد . [3]

ولهذا ادرك أعيان البلاد ان عليهم وحدهم مسئولية تعليم الأبناء ، فتعاونوا في انشاء العدد المناسب من المدارس الابتدائية وجمعوا التبرعات من اجل انشاء مدرسة الفنون والصنائع الإسلامية والتي أنشئت في طرابلس سنة 1899 م من اجل تعليم اليتامى وأبناء الفقراء ، وحين كانت هذه الجهود تتم في المدن كانت الزوايا في الجزء الشرقي من البلاد تؤدي دورها في نشر التعليم بين أبناء البادية ، فكل زاويا ملحق بها مدرسة صغيرة لتعليم القراءة والكتّاب ة والحساب وتحفيظ القرآن الكريم ، وعندما شعر العثمانيون بأطماع الدول الأوروبية في الولايات بدءوا يغيرون سياستهم القديمة ويقومون ببعض الإصلاحات وخاصة في مجال التعليم . [4]

- والدليل على ذلك رسالة كتبها احد الولاة العثمانيون تقول :

" أما الايطاليون فقد أسسوا لأبناء جاليتهم مدارس لتعليمهم وضموا معهم عشرين الف يهودي بينما يعيش مليون ونصف من شعبنا محروماً من المعرفة "ولدينا ثلاث مدارس مقفلة بسبب الإهمال وعدم تزويدها بمدرسين . [5]

(1) رأفت غيمي الشيخ ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة ، ط1 ، منشورات دار التنمية ، بنغازي ، 1972 ، ص 112 .
(2) تيسير بن موسى ، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني ، ط1 ، منشورات الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، 1988م ، ص323
(3) المرجع نفسه ، ص 324
(4) عبد العزيز زوارة ومصطفى الشناوي ، صورة من تطور المجتمع الليبي ، ط1 ، منشورات دار ليبيا للنشر ، بنغازي ، 1967م ، ص94
(5) منصور عمر الشتيوي ، الغزو الأيطالي لليبيا ، ط1 ، مؤسسة الفرجاني ، طرابلس ، 1989م ، ص5

ولهذا أنشئت في ليبيا في أواخر العهد العثماني الثاني بعض المدارس الابتدائية ومدرسة عسكرية ومعهد للمعلمين ، كما قدمت المساعدات التي كانت قائمة بالفعل للمدرسين وقد أنشئت في هذا العهد أربع مدراس تركية تسمى المدارس الرشيدية في مدن طرابلس وبنغازي ودرنة والخمس ، وكان معلموها من الاتراك ، واللغة الأساسية فيها هي اللغة التركية ، وكانت تعد لشغل المراكز الإدارية في الولايات . [1]

ـ ويؤكد الدكتور عمر بن إسماعيل ان القرمانليين قد اهتموا بالتعليم الديني وكان على نوعين : تعليم ديني في المساجد ، وقد اكمل بعض التلاميذ دراستهم في بعض الأقطار العربية مثل تونس ومصر ، وعندما عادوا لأرض الوطن انشئوا مدارسهم الخاصة ، وكان التدريس في المدارس الخاصة يشمل النواحي الدينية المختلفة بينما اقتصر في مدارس الحكومة بالمساجد على تحفيظ القرآن الكريم .

ويمكن القول هنا بأن سياسة التعليم في ذلك العهد تميزت بقلة المدارس ، واقتصارها على المراحل الأولى ، والاهتمام بالعلوم الدينية ، وعدم وجود الجاليات الأجنبية ، بإنشاء مدارس خاصة بها لا تخضع للأشراف الرسمي من قبل الدولة ، وكان الهدف من ذلك اضعاف الثقافة العربية وادماجها في الثقافات الأجنبية بالتدريج ، كما أنشئت مدارس الارساليات التبشيرية وكان بعضها يدار من قبل الفاتيكان رأساً ، وقد أشرفت طائفة الاخوان الفرنسية على بعض هذه المدارس ، غير أنها تخلت فيما بعد عنها لإيطاليا ، وفي مطلع القرن العشرين وفي السنوات ما بين 1910 ـ 1911 م كان في ليبيا ما يقارب سبع عشرة مدرسة نظامية إيطالية ، وكان مجموع طلاب هذه المدارس النظامية حوالي 4814 طالباً وطالبة . [2]

وفي عام 1911م تعرضت البلاد للغزو الإيطالي وقد بدأت إيطاليا في وضع سياسة للتعليم في ليبيا بإعتبار ان ليبيا تمثل الجزء الرابع من الوطن الام إيطاليا ، وكانت أحوال التعليم في الأرض المحتلة غير مرضية وقد انصب اهتمام إيطاليا على تعليم أبناء جاليتها وذلك من 1911 ـ 1922م وخاصة عند ازدياد هجرة الايطاليين الى ليبيا وتحويل المعاهد والمدارس الاهلية الى الى مجرد كتاتيب ، واستمر التعليم في ليبيا في الأجزاء الغير محتلة وفق نظام التعليم الإسلامي وحفظ القرآن وتلاوة بعض الاذكار في الزوايا الإسلامية .

(1) عبد العزيز زوارة ومصطفى الشناوي ، المرجع السابق ، ص45

(2) عمر بن إسماعيل ، المؤتمر التاريخي الأول ـ ليبيا في التاريخ ، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الاداب ، 1968م ، ص 289

المبحث الأول : المدارس التعليمية

أولاً : ـ المدارس العربية الإيطالية :

لقد هدف الاستعمار الإيطالي من فتح هذا النوع من المدارس ، إلى التأثير في المواطنين الليبيين وذلك عن طريق الاختلاط مع أبنائهم في مدرسة واحدة ، بالإضافة إلى استخدام هذا النوع في عملية جذب التلاميذ العرب ليتزودوا بالثقافة الإيطالية ، وتعليم أبنائهم اللغة العربية ليتمكنوا من فهم ظروف البلاد وأحوالها لذلك فتح باب القبول أمام التلاميذ الليبيين والإيطاليين على حد سواء [1] .

وقد أكدت المعلومات المتوفرة لدى بعض المشايخ في مدينة مصراتة وجود هذا النوع من المدارس في المدينة ولكن لم يستمر طويلاً بسبب عدم الإقبال عليها ، ولعل السبب في ذلك يعود إلى معرفة المواطنين الليبيين بالغرض الذي يسعى الإيطاليون إلى تحقيقه من فتح هذا النوع من المدارس [2] .

كانت مدة الدراسة بهذه المدارس خمس سنوات ، ويشرف علي إدارتها الإيطاليون حيث يقومون بتدريس كافة العلوم بلغتهم ، بينما تركت اللغة العربية والدين الإسلامي للمدرس العربي ويتم تدرسيهما لأبناء البلاد فقط ، وألحق بكل مديرية تعليم للمدارس مفتش أو أكثر للتعليم الابتدائي ومشرف من السكان المحليين ليشرف على المواد المدرسية التي كانت تدرس باللغة العربية [3] ، ومن أهم المواد الدراسية المقررة على الطلبة الدارسين بهذا النوع من التعليم هي :(القرآن الكريم و اللغة العربية و اللغة الإيطالية و الرياضيات و المعلومات العامة والرسم و الكتّابة و الزراعة و الأعمال اليدوية و الثقافة الطبيعية) .

وقد تم اقتراح فتح هذه المدارس في المدن والمراكز العمرانية ، وتجاهلت المناطق الريفية والصحراوية ، كما أهملت تدريب العرب والإيطاليين للعمل في هذه المدارس الجديدة [4] .

ثانياً ـ المدارس الإيطالية :

وجد هذا النوع من المدارس حتى قبل حدوث الغزو الرسمي للبلاد ، وقد أشرت لهذا سابقاً في الفصل الأول من هذه الدراسة ، وعند احتلال الإيطاليين لليبيا استمرت هذه المدارس في أداء مهمتها ، فتم تقديم الدعم اللازم وتوفرت لها الإمكانيات اللازمة لتؤدي دورها المنوطة به ، وللتأكيد على هذا الدور صدر مرسوم ملكي يحمل الرقم (56) في 15- يناير – 1914م الخاص بتنظيم هذه المدارس[5] التي تضم أنواع عدة منها :

رياض الأطفال وكانت في ولاية طرابلس (5 مدارس) واحدة بمدينة مصراتة وتضم إليها الأطفال قبل دخولهم للمدارس الابتدائية وتتراوح أعمارهم ما بين (3 – 6 سنوات) لا تعتمد على منهج معين[6] .

أما المدارس الابتدائية فيلتحق بها الطلبة ما بين (6 – 10 سنوات) ، هي صورة طبق الأصل من مثيلتها في إيطاليا ، ومدة الدارسة بها خمس سنوات وتنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : مدة الدراسة بها ثلاث سنوات .

القسم الثاني : مدة الدراسة بها سنتان .

وقد كان بعض الطلبة يكتفي بدراسة القسم الأول فقط لكي يحصل على عمل يستطيع من خلاله مساعدة أسرته في توفير الدخل المناسب لها . وكان لكل فصل مدرس خاص يستمر معه حتى انتهاء مدة الدراسة ، أما المنهج

---

(1) ليونارد أبلتون ، سياسة التعليم الإيطالي إزاء العرب الليبيين 1911 - 1922 م ، ترجمة : مصطفى المحيشي ، ط1 منشورات دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 1999م ظن ص98

(2) تم فتح مدرسة واحدة من هذا النوع من التعليم بمدينة مصراتة وموقعها كان بمقر مزرعة السويحلي الحالي ، مقابلة شخصية مع الشيخ عمر الكيلاني الجروشي بمصراتة بتاريخ : 2005/9/29م .

(3) رولاندودي ماركو ، طلينة الافارقة للتعليم المحلي الحكومي في المستعمرات الإيطالية 1890 - 1937م ، ترجمة : عبدالقادر المحيشي ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1988م

(4)ـ احمد محمد القماطي ، تطور الإدارة التعليمية في ليبيا ، 1951 - 1975م ، ط1 ، منشورات الدار العربية للكتاب ، بيروت ، 1978م ، ص105

(5) تتعهد المادة الأولى من هذا المرسوم بإنشاء مؤسسات تعليمية ثانوية ، وتقليدية فنية للمواطنين الليبيين والإيطاليين ، وتتعهد المادة الثانية بالتعليم المهني في مدارس الفنون والصنائع والزراعية والتجارة ، أي أن هذا المرسوم تنظيمي للتعليم في ليبيا ، كما أشار (انجليو بيكولي) وهو تربوي استعماري بارز إلى أن هذا القانون المدرس الاستعماري الإيطالي قد وضع على غرار التشريع المدرسي الاستعماري الفرنسي ، والهدف هو استيعاب فوري للسكان الوطنيين وطلينتهم ؛ للمزيد من التفاصيل يُنظر : رولاندوي ماركو ، المصدر السابق ، ص20 ، وليونارد أبلتون ، المصدر السابق ، ص120 .

(6) تقع المدرسة بالقرب من سوق المدينة (ميدان النصر حالياً) ، مقابلة شخصية مع الشيخ خليفة الغرباوي بمصراتة ، بتاريخ : 2004/12/20م .

المطبق بها فهو نفس المنهج بالمدارس المماثلة لها بإيطاليا ، كما كان يسمح لليهود بدخول هذه المدارس بالإضافة إلى بعض العرب المتشبعين بالثقافة الإيطالية والملتصقين بسلطات الاحتلال[1] .

أما النوع الثالث منها فهي المدارس الثانوية والفنية ، فقد تم تأسيسها بعد صدور المرسوم الملكي رقم (2155) في 16- فبراير - 1917[2] ، ومدة الدراسة بها خمس سنوات ، الثلاث سنوات الأولى منها إعدادية أو تمهيدية ، والسنتان الأخيرتان للتدريب ، وفي سنة 1921م أصبح بإمكان الطلاب المتحصلين على الشهادة من هذه المدارس الالتحاق بجامعة (بوكوني Boconiuniversity) بميلانو[3] .

وكان تسجيل الطلاب يتم بعد اجتياز امتحان القبول ، وكان الهدف من افتتاحها تخريج فنيين وتجار لتغطية النقص في هذه الكوادر للتعمير والسيطرة على النواحي الاقتصادية للبلاد ، وقد كان عدد الطلبة بهذه المدارس يتزايد من سنة إلى أخرى بسبب تزايد أفراد الجالية الإيطالية في ليبيا .

وخلال فترة الاستعمار الفاشستي [4] كان يتم افتتاح هذه المدارس استناداً على المرسوم الملكي رقم (472) الذي صدر في (31- يناير-1924م) ويعتبر هذا القانون التعليمي أقل طلينة من أي قانون مدرسي سابق ، فقد أنشأت بموجبه الكتاتيب الحكومية (مدارس قرآنية) مدة الدراسة بها ثلاث سنوات ، وهي مدارس ابتدائية تقوم العملية التعليمية بها على اللغة العربية فقط الوسيلة الوحيدة للعملية التعليمية بها .

وتم فتح العديد من هذه المدارس بمختلف الأنواع دون قيد أو شرط وقد وصل عددها في العام الدراسي (1939 – 1940م) إلى (113 مدرسة) بمختلف الأنواع ، والجدول التالي يوضح عدد هذه المدارس في مدينة مصراتة.

جدول رقم (1) يوضح عدد هذه المدارس في مدينة مصراتة

أقليم طرابلس	رياض الأطفال	المدارس الابتدائية	المدارس الثانوية	مدارس التدريب المهني
إدارة تعليم مصراتة	1	26	1	---

يتضح لنا من خلال هذا الجدول كثرة المدارس التي أنشأتها السلطات الإيطالية مما يدل على توفر فرص التعليم أمام أبنائهم على عكس المدارس الأخرى التي تحدثنا عنها سابقاً الخاصة بالطلبة الليبيين ، وكذلك تدل على كبر أعداد الجالية الإيطالية في المدينة ، كما أفاد بعض الشيوخ أن سلطات الاحتلال عمدت إلى تأسيس معهد رياضي في مصراتة يسمى بـ(معهد دانتي البحري)[5] .

ثالثاً - مدارس اليهود والبعثات التبشيرية والجاليات الأوروبية :

يعود إنشاء هذه المدارس إلى الفترة التي سبقت الاستعمار الإيطالي[6] ، وهي فترة الحكم العثماني ليبيا ، وقد ازداد نفوذ هذه المدارس خلال فترة الاحتلال الإيطالي ، حيث أعطى اليهود كامل الحرية في إنشاء المدارس الخاصة بهم ولعل هذا يعود إلى اتفاق الطرفين اليهودي والإيطالي في الأهداف والمساعي المتمثلة في السيطرة على شئون البلاد الفنية والاقتصادية أي أن المدارس الخاصة باليهود لم تشكل عقبة في طريق الأهداف التي سعى الإيطاليون إلى تحقيقها ، منها طمس الثقافة الدينية والقومية للسكان ، وخلق أتباع يؤمنون بالولاء للدولة الجديدة ، والدليل على ذلك التحاق أبناء اليهود بالمدارس الثانوية الفنية والتجارية التابعة لسلطات الاحتلال

(1) رأفت غيمي الشيخ ، المرجع السابق ، ص 112 .
(2) كما شمل هذا المرسوم تحديد إدارة مقاطعة في جميع الأراضي التي تسيطر عليها إيطاليا في ليبيا ، فإن اللجان الاستشارية تتكون من المشايخ والأعيان المسلمين ، وتناقش قضايا عديدة منها : التعليم والزراعة – شق الطرق – التعليم المهني والصناعات المحلية ، لمزيد من التفاصيل يُنظر : ليونارد أبلتون ، المصدر السابق ، ص 121 .
(3) أحمد محمد القماطي ، المرجع السابق ، ص 119 .
(4) الفاشستي : كلمة رومانية الأصل تعني العصى التي يحملها الدكتاتور الروماني أمام الرئيس الأعلى للدولة كرمز للسيطرة والسلطات ، وهي أسم لحزب إيطالي أسسه موسوليني في إيطاليا 23 مارس 1919م ومقره ميلانو ، للمزيد ننظر : هـ .ج ويلز ، موجز تاريخ العالم ترجمة ، عبدالعزيز جاويد ، منشورات مكتبة النهظة المصرية ، القاهرة ، 1958م، ص371
(5) لم نستطع الحصول على معلومات وافية عن هذا المعهد من خلال المقابلة مع الشيخ عمر الكيلاني الجروشي بتاريخ 2005/9/29م.
(6) حتى سنة 1911م ، فإن مدارس البعثة الكاثوليكية في ولاية طرابلس وبنغازي ، ومدارس الاتحاد الإسرائيلي العالمي كانت بكاملها بكاملها تتلقى إعانات من الحكومة الفرنسية ، ليوناردو ابلتون ، المصدر السابق ص 116 .

، كما أن الإيطاليين عينوا في مدارسهم لتعليم اللغة العبرية والدين الموسوي لأبناء اليهود الذين لا يلتحقون بمدارس التلمود [1] .

وفي سنة (1921-1922م) وصل عدد المدارس في ولاية طرابلس إلى (13 مدرسة) كانت واحدة منها في مدينة مصراتة ، وخلال فترة الحكم الفاشستي زاد عدد الطلاب اليهود في المدارس الثانوية والفنية والمهنية ذات الطابع الإيطالي ، لعل ذلك يعود إلى أن الطبقة اليهودية في الولاية كانت تهتم بالتجارة والجوانب الاقتصادية أكثر من أي جانب آخر ، وفيما يلي إحصائية تبين عدد المدارس اليهودية وأنواعها التي كانت قائمة بإقليم طرابلس في الفترة من (1939 – 1940م) [2] .

جدول رقم (2) يوضح عدد المدارس اليهودية بإقليم طرابلس في الفترة من (1939 – 1940م) [3]

	المدارس الثانوية	المدارس المهنية	المدارس الابتدائية	التلمود	رياض الأطفال
إقليم طرابلس	1	2	17	14	2

ويتضح لنا من الجدول مدى الاهتمام الذي لاقته الجالية اليهودية من قبل السلطات الإيطالية والمتمثل في حرية إقامة المدارس وبجميع الأنواع ، كذلك قبول اليهود في المدارس الإيطالية دون شروط على العكس ما كان يلاقيه الليبيون .

أما فيما يخص المدارس الخاصة بالبعثات التبشيرية والجاليات الأوروبية [4] فهي كذلك مقامة في ليبيا منذ الحكم الحكم العثماني ، تحديداً بعد ثورة الاتراك الاتحاديين سنة 1908 م ، ألا أنها زادت من نشاطها مع سيطرة الإيطاليين على الأوضاع في البلاد ، فقد ساهمت بدور فعال في مساعدته على دخول البلاد فأنجز رجال الدين هذه المهمة بحماس شديد مندفعين لذلك بثلاثة دوافع هي :

1- الرغبة لديهم لضرورة استعادة كافة المناطق التي سادتها الإمبراطورية الرومانية قديماً محاولة لاعادة نشر الديانة المسيحية من جديد

2- نظرة رجال الدين للامبراطورية العثمانية بوصفها الممثلة للمسلمين وحاملة للواء الدين الإسلامي ، وبالتالي فإن القضاء عليها هو نصرة للديانة المسيحية

3- تقلص نفوذ سلطات الكنيسة ورجال الدين في إيطاليا فتطلع هؤلاء لاستعادة نفوذهم ومجدهم في المستعمرات [5].

ويعود نشاط هذه البعثات التبشيرية في البلاد الى سنة 1889م عندما أنشئت مدرستان تابعتان للفرنشيسكان ، ثم اتسع نشاط هذه البعثات حتى شمل أجزاء كبيرة من الولاية ، حيث انتشر المبشرون في اغلب مدن البلاد ، فأسسوا العديد من المدارس والملاجئ وشرعوا في كسب ود السكان ، وعندما عارضت الدولة العثمانية هذا النشاط فادعوا بأن عملهم انساني لإنقاذ اهل البلاد من التخلف والتاخر ، وبأنها جاءت بتكليف من المنظمات الكاتولكية او الفاتيكان مباشرة ، او الحكومة الإيطالية [6]

(1) رولاندوى ماركو ، المصدر السابق ، ص 97 .
(2) رأفت غنيمي الشيخ ، المرجع السابق ، ص 100 .
(3)إسماعيل القروي ، التمهيد الثقافي الإيطالي للغزو العسكري لليبيا ، 1882 - 1911 ، ط1 ، منشورات المجلس القومي ، الرباط ، 1993 ، ص150.
(4) إن شعبية المدارس الكاثوليكية بين كل من الإيطاليين وقطاعات معينة من السكان الليبيين قد استمرت خلال هذه الفترة ولقد نظر إليها (ميكاكي) على أنها نقد صامت لعدم فاعلية المدارس الابتدائية الحكومية في جذب القطاعات الأفضل حالاً من السكان ، يُنظر : رولاندوى ماركو ، المصدر السابق ، ص 46 .
(5) - عبدالمنصف حافظ البوري ، الغزو الإيطالي لليبيا دراسة في العلاقات الدولية ، ط1 ، منشورات الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، 1985م ، ص260
(6) - محمد فؤاد شكري ، السنوسية دين ودولة ، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1948م ، ص113

لذلك قدمت لها المساعدات المالية ، وكانت هذه المدارس تدار بواسطة رهبان وراهبات ، ومناهجها مطابقة لما هو موجود في المدارس الإيطالية ، ومدة الدراسة بها خمس سنوات ، وكان منها في إقليم طرابلس (6 مدارس) ، وخلال فترة الحكم الفاشستي زادت أعداد هذه المدارس مما جعلها تلعب دوراً كبيراً في العملية التعليمية خاصة في الجوانب السياسية في تلك الفترة ، وفي الوقت ذاته أخذت هذه البعثات تقوم ببعض الاعمال الأخرى منها ادخال اليتامى ومن لاعائل له من السكان العرب الى الملاجئ التابعة لها ، محاولة لتنصيرهم ، كما ادخلوا ايضاً اعداد من أبناء السكان الى المدارس التي انشئوها ، لذلك اعتبرت من العوامل المساعدة على نشر الثقافة والأفكار الأوروبية بين التلاميذ الليبيين ، وعامل مساعد في القضاء على اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، وقد ركزت في برامجها على فئات معينة من المجتمع ، فبدأت بالأطفال الأكثر تأثراً وتقبلا للعملية التبشيرية ، وفضلت من الأطفال الاناث عن الذكور ، لان المرأة أساس الحياة الاجتماعية والوصول بالتبشير اليها يعني الوصول الى الاسرة كلها ، واشتد التركيز أيضا على أبناء الاعيان لمحاولة استمالة الشخصيات ذات الوجاهة الاجتماعية عن طريق الاتصال بها بجحة الاهتمام بأطفال تلك الفئة حتى تضمن وجودها وتحقق مصالحها [1]

ففي سنة (1939 – 1940) وصل عدد هذه المدارس في إقليم طرابلس بما فيه مدينة مصراتة إلى الأعداد الآتية :

1- مدارس ابتدائية للبنين (2) ويديرها أخوان المدارس المسيحية .

2- مدارس ابتدائية للبنات (4) تديرها الأخوات الفرنسكانيات وأخوات القديس يوسف .

3- رياض الأطفال (8) يديرها الأخوات الفرنسكانيات والأخوات البيض من صقلية وأخوات القديس يوسف[2] .

أما فيما يخص المناهج الخاصة بهذه المدارس فهي مقسمة إلى نوعين :

النوع الأول :

مدارس تشابه في مناهجها ونظمها المدارس الإيطالية وهي تشمل مدارس ابتدائية للبنين ، وتمدها سلطات الاحتلال الإيطالي بالمساعدات المالية .

النوع الثاني :

المدارس الخاصة وهي تتبع إلى حد كبير الجاليات الأجنبية ، وتشرف عليها راهبات مسيحيات باعتبار أن الديانة الغالبة على الجاليات ديانة مسيحية [3] .

ويتضح من ذلك أنه كان لكل نوع شخصيته الاعتبارية طالما لا تتعارض مع وظيفة وطبيعة السياسة الاستعمارية ، ولم تتدخل السلطات الإيطالية في شئون هذه المدارس مثلما كانت تفعل في التعليم العربي الإسلامي لأبناء الشعب العربي في ليبيا ، مما ساعد ذلك في زيادة أعداد هذه المدارس من سنة إلى أخرى ولعل التشابه في الهدف دفع السلطات الإيطالية إلى إعطائها هذه الحرية .

وفيما يلي جدول يوضح نسبة عدد الطلاب الليبيين والأجانب في جميع مراحل التعليم الأهلي والنظامي التي ذكرنها سابقاً ولكن هذا الجدول على مستوى ليبيا .

(19) - محمد فؤاد شكري ، المصدر السابق ، ص113

(2) رأفت غنيمي الشيخ ، المرجع السابق ، ص 102 .
(3) أحمد محمد القماطي ، المرجع السابق ، ص120 .

جدول رقم (3) يوضح نسبة عدد الطلاب الليبين والأجانب في جميع مراحل التعليم الأهلي والنظامي على مستوى ليبيا [1]

السنة الدراسية	العرب	النسبة	الأجانب	النسبة
1922-21م	2559	%44	3249	%56
1926-25م	7396	%56	5732	%44
1931-30م	9942	%63	5936	%37
1935-34م	16246	%57	12389	%43
1939-38م	16497	%55	12811	%45

أما الجدول التالي يوضح نسب أعداد الطلاب الليبيين والأجانب في جميع مراحل التعليم النظامي فقط وأيضاً على مستوى ليبيا .

جدول رقم (4) يوضح نسب أعداد الطلاب الليبين والأجانب في جميع مراحل التعليم النظامي على مستوى ليبيا[2]

السنة الدراسية	عرب	نسبه	أجانب	نسبه
1922-21م	767	%19	3249	%81
1926-25م	1826	%36	5732	%64
1935-30م	4387	%42	5936	%58
1935-34م	6382	%34	12389	%66
1939-38م	7524	%37	12811	%63

يتضح لنا من الجدولين السابقين اهتمام الاستعمار الإيطالي بتوفير فرص التعليم لأبناء الأجانب في الوقت الذي حرم أبناء الوطن من هذا الحق ، كما تبين عزوف الطلاب الليبيين عن التسجيل بالمدارس الإيطالية والأجنبية ، وإقبالهم على الدراسة في التعليم الأهلي مما يدل على وعيهم بأهداف السياسة الإيطالية الاستعمارية من وراء فتح هذه المدارس ، كما أن عددهم بدأ يتناقص من سنة إلى أخرى على عكس الطلبة الأجانب .

المبحث الثاني : موقف الاستعمار الإيطالي من التعليم الديني

لقد مر التعليم في ليبيا بعدة مراحل تميزت كل مرحلة منها بعوامل سياسية وثقافية معينة خلال العهد العثماني والإحتلال الإيطالي وقد شهدت البلاد تعليما بسيطا تركز في الكتاتيب والمساجد ويقوم على جهود فردية أهلية وكان ذلك أثناء تبعية البلاد للدولة العثمانية ثم تعليما أجنبيا استعماريا دخيلا نشأ الصراع الاستعماري نتيجة وقوع البلاد فريسة للإستعمار الإيطالي وشهدت ليبيا أنذاك تعليما دينيا وطنيا نشأ ليكون أداة التحرير والخلاص من الأطماع الإستعمارية وكانت هذه الأداة متمثلة في الشيوخ وأساتذة العلم من خلال الزوايا الموجودة في مصراتة منها زاوية زاوية إبراهيم المحجوب 742 هـ / 134م ، وزاوية أحمد الزروق 899هـ/ 1493م ، وزاوية بن غلبون 1133هـ /1720م ، وزاوية المدني 1242هـ/ 1826م ، وزاوية المنتصر 1248هـ / 1832م ، في تلك الفترة حيث

(1) أحمد محمد القماطي ، المرجع السابق ، ص 122 .
(2) مصطفى سعد الهاين ، اثر العامل الديني في الجهاد الليبي ، ط1 ، منشورات دار الكتاب ، طرابلس ، 1980م ، ص44 .

ان دورها الأساسي يبدأ من منطلق الجهاد والتحريض عليه من خلال التعاليم الإسلامية إن هذا الدور الذي كان يقوم به الشيوخ في المراكز الدينية كان له وقع سئ على الإستعمار الإيطالي حيث ان هذه الزوايا كان لها الدور الأكبر في ظهور حركات معارضة للإحتلال الإيطالي ولذا حاولت إيطاليا السيطرة على الكتاتيب والمدارس القرأنية ولم تكن هناك طريقة إلا بأصدار مرسوم ملكي.

أن هذا المرسوم ينص على التالي :

1- تنظيم الكتاتيب وصرف مكافآت مالية للفقهاء معلمي الكتاتيب من الأوقاف ومن خزينة المستعمرة.
2- تصرف الأموال علي هذه الكتاتيب إذا توفرت منها الشروط الأتية :

أ – أن يتجاوز عدد التلاميذ في الكتّاب الواحد خمسة وعشرين تلميذا تتراوح أعمارهم بين 5-14 سنة
ب – أن يتضمن برنامج الكتّاب مقررات في اللغة العربية ومبادئ الرياضيات إلى جانب المقررات الدينية
ج – أن يخضع الكتّاب لرقابة المفتش الإيطالي ومتابعته له . وبذلك أخضع الإستعمار الإيطالي جميع النشاط التعليمي لرقابته بقصد التأثير على حياة الناس وتوجيهها لمصلحة الإستعمار ، ومن الملاحظ ان الإستعمار الإيطالي كان يشرف على التعليم بنفسه وينفذ سياسته التعليمية والتي يهدف من ورائها لمحو عروبة الشعب الليبي والقضاء على ثقافته العربية الإسلامية والدليل على ذلك أن جميع وظائف التعليم في العهد الإيطالي كانت مقتصرة علي الإيطاليين وحدهم فقد كان مدير المدرسة إيطاليا والذي يضع المنهج الدراسي إيطالي والمدرس الإيطالي يعتبر رئيسا للمدرس العربي .

إذا مما سبق نتأكد انه لم يكن هناك تعليم بالمعنى الصحيح وإنما مدارس دينية متمثلة في الكتاتيب التي كانت تدار من قبل الذين يقومون بأمر المساجد أو الكتّاب ويمكن أن نطلق على هذه الفترة فترة الجهود الفردية في إدارة التعليم في ليبيا

ونتيجة للمشاكل التي تعرضت لها إدارة المدارس بوزارة المستعمرات فقد تم اختيار الدكتور (رودولفو ميكالي) للقيام بدراسة وافية ومعانية المكانيات التعليمية الموجودة بليبيا ((المستعمرة الإيطالية)) فكانت مهمة ميكالي الوصول الى حل للمشاكل الراهنة في البلد سنة 1919م وفي خضم تلك الظروف اعترف بأنه لامجال لقبول أي نظام تعليمي في ليبيا دون الإعتماد علي الكتاتيب .

إضافة إلى ذلك أنه يعتقد أن الكتاتيب لا تشكل خطرا سياسيا عليهم لذا لم يتردد في مساندة اصلاح الكتاتيب بحيث لا تكون هذه الكتاتيب مقتصرة على نشر التعاليم الدينية فقط ، ومما سبق نلاحظ ان ميكاكي شكك بأهمية الكتاتيب ، الا انه لم يلبث ان سلم بشعبيتها بين السكان حيث حاولت إدارة المدارس بوزارة المستعمرات كبت كراهيتها للكتاتيب والمدارس القرآنية والتقليل من أهميتها ، ويتضح ذلك من خلال الاعمال التي قام بها ميكاكي [1]

وللسيطرة على زاوية الزروق شكلت الإدارة الإيطالية هيئة إدارة جماعة من اعيان البلد تتولى الاشراف على اوقاف الزاوية ورعاية شئونها .

وبعد تعيين الحكومة الإيطالية هيئة اوقاف على مستوى المحافظة للإشراف على زاوية زروق وغيرها جاءت الحرب العالمية الثانية فأعادت كل شيء الى ما كان عليه ، وهي اليوم تتبع الهيئة العامة للأوقاف . [2]

لقد ادركت إيطاليا مدى تأثير العامل الديني في بث روح الحماس والشجاعة في نفوس الليبيين ، لذا حاولت إيطاليا بكل الوسائل التقليل من أهمية الكتاتيب والزوايا الا أنها سرعان ما لاحظت خطأ اعتقادها حيث ان معظم العمليات الجهادية ومعظم الشخصيات التي كان لها دور في احداث اضطرابات في النظام الإيطالي كانوا من الشيوخ وأساتذة العلم ، لذا حاولت إيطاليا ان تحتوي هذه المدارس القرآنية وتسيطر عليها ، الا ان هذا لم يكن قد اوتي تأثيره على أهل البلد بل زادهم صموداً وايماناً بقضيتهم .

تابع دور الزوايا وأثرها في حركة الجهاد الليبي في مصراتة 1911 - 1943ف

ومما سبق يتضح لنا كثير من الأمور التي يمكن تلخيصها في الاتي :-

(1)مصطفى عبدالرحيم ابوعجيلة ، زاوية الامام زروق بمصراتة ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا ، ط1 ، منشورات دار رباح للطباعة والنشر، ج1 ، مصراتة ، 2001م، ص 457 .
(2) ليوناردو ايلثون ، المصدر السابق ، ص126 - 128

1- ان دور الزوايا في مصراتة لم يكن مقتصرا على تعليم العلوم الدينية فحسب بل امتد الى تحريض الناس على عدم الخضوع للاستعمار والثورة ضده .

2- مع انتشار الزوايا في أرجاء ليبيا يزداد عدد الطلبة المنتسبين لهذه المدارس وهذا ما يهدد وجود الاستعمار الإيطالي في ليبيا آنذاك .

3- المحاولات المستمرة للاستعمار حتى يومنا هذا لمحو الشخصية الإسلامية الا ان مساعيهم آنذاك لم تنجح لتأثر في شخصيات ذلك العصر بالزوايا ولذلك فنحن نحافظ على هذه القلاع الإسلامية .

4- ان هذه الزوايا كانت المعسكر الأول الذي انطلق منه المجاهدون الى ساحات القتال ضد العدو الإيطالي الغاشم .

5- ان هذه الزوايا كانت السبب في حفاظ الليبيين على لغتهم العربية دون التأثر بلغة العدو ، فهي مكان لحفظ القرآن الكريم والفتوى الشرعية التي يصدر منها الحكم ضد المخالفين ،

6- هذه الزوايا كانت تتولى امداد المجاهدين بالأموال والمؤن والسلاح وتنظيم المتطوعين الراغبين في القتال ، كذلك كانت مكاناً للاستقرار والمعيشة للمجاهدين في بعض الأوقات الضرورية وكانت مقر لإدارة حركة الجهاد وتدريب المجاهدين وتوجيههم التوجيه المعنوي والروحي لضرب مخططات الاستعمار .

7- هذه الزوايا لها الأثر في ظهور عدد من زعماء وأبطال الجهاد أمثال رمضان السويحلي واخيه سعدون الذين درسوا في هذه الزوايا وتشبعوا بالروح الإسلامية والوطنية .

المبحث الثالث : الآثار المترتبة عن السياسة التعليمية الإيطالية

لتقييم السياسة التعليمية الإيطالية وأثرها على المجتمع في مدينة مصراتة ، علينا أن نبحث أولاً في مدى نجاح هذه السياسة في ليبيا ، وهل أثرت المؤسسات سالفة الذكر على المجتمع ؟ . لم تكن سياسة التنشئة التي اتبعتها إيطاليا في ليبيا بدعة إيطالية أو عملاً اخترعه الإيطاليون ، لكنها كانت مبنية على سياسة اتبعتها الدول الاستعمارية التي سبقت إيطاليا في هذا المجال كإنجلترا وفرنسا ، فاختارت إيطاليا لنفسها هذه السياسة ، فعملت في هذا المجال على عدة جوانب منها الجانب التعليمي من أجل الوصول إلى نتائج ناجحة لتحقيق أهدافها التي سعت لتحقيقها ومنها السيطرة التامة على البلاد [1] .

فبعد أن أدركت تمام الإدراك أهمية الدور الذي يقوم به الدين في مدينة مصراتة ، وقوة المشاعر لدى الأفراد وتمسكهم بها واهتمامهم بالمؤسسات الخاصة بها مثل (زروق ، المحجوب ... وغيرها) ، واقتنعت بأن أي مساس بها سيثير العواطف ضدها ، قامت بتنفيذ سياسة مدروسة ومحكمة حاولت من خلالها احترام الدين الإسلامي والأعراف والمعتقدات السياسية قدر الإمكان [2] .

كل هذا جاء محاولة لاحتواء أهم المؤسسات التي كانت تشرف على العملية التعليمية بالمدينة لتتغلغل من خلالها إلى مختلف الأوساط الشعبية ، فبعد أن توقفت المدارس الإيطالية التي أنشئت قبل سنة 1911م ، عن أداء دورها بسبب الحرب ، وعندما خفت حدة القتال وخاصة بعد معاهدة (أوشي لوزان في 1912/10/18م) استأنفت هذه المدارس عملياتها التعليمية وبدأت إيطاليا في سياستها التعليمية في فترة الاحتلال بالقيام بعدة أعمال منها البدء في تسجيل التلاميذ بالمدارس لإيهام المواطنين بحرص إيطاليا على تعليم أبنائهم وتمدينهم ، كما استخدمت المعلمين الإيطاليين واستكمال النقص في المعلمين من الضباط بهدف السيطرة على التعليم والتحكم في خطة سير العملية التعليمية أصبحت وزارة الحرب في روما تشرف عليها رسمياً [3] .

إضافة إلى ذلك تم افتتاح معسكرات تعليمية لأبناء ضحايا الغزو الإيطالي ، تقوم بتدريس الطلبة التابعين لها باللغتين العربية والإيطالية ، وتم الاهتمام بالمناهج التي كانت تعطي فكرة عن التقدم الإيطالي الكبير وأخذهم بأساليب المدنية والعلوم العصرية ، وكان الهدف من ذلك إظهار التفوق الإيطالي ، وأنه على الليبيين الخضوع

(1) عبدالمنصف حافظ البوري ، المرجع السابق ، ص 225 .
(2) إسماعيل القروي ، المرجع السابق ، ص 128 -. جورج ريمون ، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا 1912م ، ترجمة : محمد عبدالكريم الوافي ، ط1 ، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع ، طرابلس ، د.ت ، ص 200 .
(3) صلاح الدين السوري ، الغزو الإيطالي في ليبيا دراسة في العلاقات الليبية ، ط1 ، منشورات الدار العربية للكتاب ، (بيروت ، 1983م) ، 255 .

والاستجابة ليستفيدوا من هذا التقدم ، وافتتحت المدارس المختلطة التي تدرس اللغتين العربية والإيطالية بهدف محاربة اللغة العربية [1] .

كما ركزت قوات الاحتلال عن جعل المناهج تعطي فكرة طيبة عن إيطاليا وذلك من خلال المقالات التي تحملها ففي مقال يحمل عنوان (العلم) جاء فيه : " الأطفال يخرجون من المدرسة مارين أمام العلم ، ومع الله يحيونه بالتحية الرومانية ، أتعرف ما معنى هذا الاحترام ؟ أن هذا العلم المحبوب ذا الألوان الثلاثة يناجي قلوبنا فيقول : " أنا جلالة الملك ، أنا دولة الوزير بنيتو موسوليني رئيس الحكومة وزعيم الفاشست ، أنا حكومة إيطاليا كلها التي من ضمنها قطر ليبيا ، وسائر مستعمراتها ، أنا أسطول إيطاليا وجيشها المنصور " [2] .

يعتبر هذا المقال جزءاً من عديد المقالات التي كانت تدرس في المدارس الإيطالية في تلك الفترة ، كما شجعت الليبيين على استكمال تعليمهم في روما بصرف المكافآت ولكن هذه الخطوة فشلت ولم تستجب لها إلا قلة من الليبيين .

مما تقدم يتضح أن السياسة التعليمية الإيطالية قد ركزت على المدرسة لأنها اعتبرتها ذات أهمية خاصة في عملية التغلغل الثقافي في البلاد لذلك عملت على أن تكون للمدرسة وقعها الخاص وتأثيرها الكبير في نفوس أبناء هذا الشعب ولكنها فشلت في ذلك .

لم تقتصر قوات الاحتلال في عمليتها السياسية على المدرسة فقط بل أنها اتخذت عدة إجراءات فيما يخص المؤسسات الدينية ، حيث كانت تخفض من ساعات منع التجول في شهر رمضان ، ورفعها في أحيان أخرى كما تطلق المدافع وقت الإفطار والإمساك ، كما اهتمت بإقامة الاحتفالات الدينية الخاصة بالمسلمين ، وقامت ببناء وترميم عدة مساجد خاصة في المناطق البعيدة عن مراكز المدينة ، وحافظت على استقلاليتها ضمن إدارة الأوقاف الإسلامية ، وقدمت الدعم المادي لها ، كما أبدتْ اهتماماً خاصاً بالقضاء الشرعي وبالمحاكم الشرعية نظراً لمكانة الشريعة الإسلامية عند المسلمين ودورها في تنظيم العلاقات الاجتماعية ، بل أشرفت على تعيين القضاة وخصصت لهم مرتبات ومنح عالية ، وكانت تهدف من وراء ذلك إقامة علاقات حسنة بهم بهدف إدخال بعض الإصلاحات الدينية والاجتماعية في المجتمع [3] .

بيد أنه وعلى الرغم من كل هذه الإجراءات والظروف الصعبة التي كان يعاني منها المواطن الليبي في تلك الفترة ، فإن الحكومة الإيطالية أخفقت في تكوين وترويج الدعاية القائلة بأنهم حماة الإسلام والمسلمين ، وأنهم ما جاءوا إلا لرفعه ورقي هذا الشعب ، وقد رفض أبناء الشعب الانضمام إلى هذه المدارس ، وهذا ما أكدت عليه الوثيقة التي تحمل عنوان (المؤسسات الدراسية) ، التي تحمل توقيع رئيس مركز إدارة المنشية المكتوب فيها : " وقد قامت هذه الإدارة باستعمال نفوذها لدى الموظفين والأعيان الوطنيين للحصول على أقصى عدد من التسجيلات فكانت النتائج أحسن من العام الماضي حيث إن المدارس تحتضن الآن متوسطاً قدرة (خمسة وأربعون تلميذاً) وهو مالا يدعوا إلى الارتياح الكامل " [4] .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المتوسط الذي تتحدث عنه الوثيقة ليس كله من العناصر المحلية بل كان فيه عدد لا يستهان به من اليهود والذين قدمت لهم كل المساعدات من قبل قوات الاحتلال لإدخال أبنائهم لهذه المدارس كما أوضحت سابقاً ، إن هذا الحال لم يقتصر على إدارة واحدة فقط بل انطبق على جميع الإدارات المركزية التي شكلتها إيطاليا في عدة مدن منها مدينة مصراتة ، ولعل الجداول المرفقة بأنواع المدارس التي تحدثنا عنها في الفصل الثاني من هذه الدراسة تثبت لنا فشل هذه السياسة التي انتهجتها إيطاليا في تلك الفترة .

ولعل فشل هذه السياسة التي سعت إيطاليا إلى تحقيقها سواء في مدينة مصراتة أو غيرها من المدن الليبية ، يمكن إرجاعه إلى عدة أسباب منها :

1 - الظروف المعيشية الصعبة التي عانت منها المدينة سواء كانت اقتصادية أم اجتماعية أم سياسية وعدم استقرار الوضع بها .

2 – عزوف الأهالي عن إدخال أبنائهم إلى هذه المدارس وشكهم في أهداف التعليم الإيطالي وقوة العامل الديني والاجتماعي المتمثل في العادات والتقاليد ، جعل من الصعب عليهم تقبل ثقافة الآخر ، وعقدت عدة اجتماعات بين الأهالي قرروا فيها المقاطعة التامة لهذه المدارس .

(1)حسن علي خشيم ، صفحات في الجهاد الوطني ، ط1 ، منشورات دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، 1972م ، ص 45 .
(2) دار المخطوطات التاريخية بمركز الجهاد ، ملف التعليم ، وثيقة رقم (1988) ، بدون تاريخ .
(3) زعيمة الباروني ، صفحات خالدة من الجهاد ، منشورات مطابع الاستقلال الكبرى ، د.م ، 1964م ، ج1 ، ص 34 .
(4) محمد سعيد القشاط،القرضابية،ط1،منشورات دار المسيرة، بيروت،1978م ، ص 109 .

3 – عدم رغبة المواطن في التعامل مع المحتلين والخوف على أبنائهم من هذه السياسة ، خاصة بعد صدور الفتاوى بتحريم الالتحاق بمدارسهم والتعامل معهم [1] .

4 – تحريض الفقهاء والفئات الواعية من الشعب الليبي ودورها في إفشال مخططات إيطاليا التعليمية ، مما حذا بالسلطات الإيطالية إلى وضع شروط صارمة على أماكن هؤلاء الفقهاء وهي الكتاتيب والزوايا والمدارس القرآنية وخير دليل على ذلك ما قامت به إيطاليا من إجراءات منها إلغاء عدد كبير من هذه المؤسسات ، ووضع أخرى تحت الرقابة الإيطالية ، نظراً لما رأت فيها من تحريض ضد مخططاتها الاستعمارية في ليبيا [2] .

5- سياسة إيطاليا القمعية والوحشية من بين الأسباب التي نفرت الليبيين من تقبل مدارسهم وحضارتهم .

ونتيجة لذلك انصرف الأهالي إلى تعليم أبنائهم في الكتاتيب والزوايا والمدارس القرآنية ، فعلى الرغم من كل المحاولات التي اتبعتها قوات الاحتلال من إيجاد نوع من التقارب بينهم وبين الليبيين فإنهم فشلوا في ذلك ، وقد لعب العامل النفسي دوره في ذلك ، فبينما كانت إعداد الإيطاليين في تزايد ، ودعائمهم تقوى بوجود دولة قوية تسندهم ، كان المواطن الليبي منهكاً من الحرب التي أتت على كل ما عنده ، ولم تتح لـه فرصة التعليم ، فعانى من ظروف صعبة في عدة جوانب ، وكان لابد أن يؤثر المجتمع المتقدم على المجتمع المتأخر [3] .

وبعد أن فشلت قوات الاحتلال الإيطالي من تحقيق سياستها عن طريق هذه المؤسسات ، سلكت طرقاً ووسائل أخرى لنشر ثقافتها بين أبناء الشعب تمثلت في الاحتكاك المباشر والمعاملة اليومية ، وكذلك الجرائد ، ومراكز الوظائف العامة والمستشفيات ، فتركت هذه القنوات أثرها وكان لها دورها في نشر اللغة الإيطالية بين أبناء المدينة ، على الرغم من العزوف عن الالتحاق بالمدارس النظامية ، حيث وصل عدد متعلمي اللغة الإيطالية في ولاية طرابلس إلى (30%) من عدد السكان أكثرهم من اليهود ، بينما كان عدد من يتكلمون التركية خلال فترة الحكم التركي بعهديه الأول والثاني لليبيا قد وصل إلى (5%) [4] .

إضافة إلى ما سبق فقد ساعدت العلاقات التجارية التي ربطت بين مدينة مصراتة بحكم موقعها على البحر المتوسط ، وبعض الولايات الإيطالية خلال فترات تاريخية سابقة على زيادة نسبة المتعلمين بالمدينة لهذه اللغة .

ومما تقدم يتضح أنه على الرغم من كل المحاولات الرسمية التي اتبعتها إيطاليا في سبيل نشر اللغة الإيطالية بفتح عدة مؤسسات فإنها لم تنجح في تحقيق أهدافها ، بقدر ما نجحت الوسائل الثقافة الأخرى في ذلك ، أي أن المؤسسات الرسمية لم تترك إلا أثراً قليلاً ولم تنجح في تحقيق سياستها وأهدافها التي أنشئت من أجلها ، لا سيما إذا ما قورنت بتأثير المؤسسات الدينية على المجتمع التي لاقت القبول بفضل التشجيع والمساندة الشعبية ، خاصة بعد إدراكهم للأهداف الاستعمارية وسعيهم في القضاء على اللغة العربية والدين الإسلامي الذي هو شريعة مجتمعهم عن طريق محاربة المؤسسات ودور العلم التي تقوم على نشر هذه المبادئ ، ولكن وعلى الرغم من تعدد وسائل التغلغل الاستعمارية في المجتمع فقد أخفقت في تحقيق أهدافها ، فلم تترك في المجتمع إلا بعض التوجهات الفكرية التي بقيت معه ، والتي بالإمكان القضاء عليها وتنظيف العقول منها ، والوقوف في وجه التحديات الجديدة التي يحاول الغرب نشرها في مجتمعنا عبر وسائل الاتصال المختلفة .

(1) ن.ابروشين ، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى سنة 1969م ، ترجمة : عماد الدين غانم ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1988 ، ص 103 .

(2) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم ، الاستعمار الإيطالي وأثره على العروبة والإسلام في أفريقيا - دراسة تاريخية للآثار السلبية للاستعمار- تحرير : جمال زكريا قاسم ، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، 1977م ،ص8

(3) سعيد عبدالرحمن الجنديري ، قصائد الجهاد ، ط1 ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1984م ، ج1 ، ص 338 .

(4) خليفة محمد التليسي ، بعد القرضابية دراسات في تاريخ الاستعمار الإيطالي بليبيا 1922 – 1930م ، ط2 ، منشورات الدار العربية للكتاب ، ليبيا – تونس ، 1978م ، ص 8 .

الخاتمة

1- ان السياسة التي اتبعها الايطاليين في التأثير على سكان مدينة مصراتة ، لم تكن مبتدعة او جديدة فهي سياسة كل الدول الاستعمارية التي سيطرت على الوطن العربي في تلك الفترة ولم تختص بها مدينة مصراتة وحدها بل هي نفس السياسة التي اتبعت في المدن الليبية الأخرى وان كانت هناك بعض الخصوصيات لبعض المدن .

2- من اجل تحقيق الايطاليين الأهداف المرجوة من هذه السياسة بدأوا في تطبيقها قبل عملية غزوهم العسكري بفترات طويلة واعتمدوا في تحقيق هذه الأهداف على البعثات التبشيرية والارساليات بالإضافة الى بعض الشخصيات التي كان لها قبول في المجتمع المحلي الإيطالي والداخلي في ليبيا .

3- من اجل تحقيق هذه السياسة لأهدافها ، قاموا بفتح العديد من المدارس المتنوعة والتي تختص بكل الجاليات الموجودة بالمدينة ، وقد كان تركيزهم على المدن الليبية الكبرى والتي مصراتة واحدة منها .

4- لقد تركزت مناهج المدارس الإيطالية التي تم افتتاحها خلال هذه الفترة على تشجيع الناس على الانضمام الى المدارس الإيطالية ، وجاولوا في بعض منها وضع برامج تعليمية تكون مقبولة من الأهالي لينضموا لها ، كذلك تقديم المساعدات والمرتبات للمدارس الدينية لمعرفتهم بأهمية الدين الإسلامي للسكان ، لان القضاء على التعليم الديني بالمدينة من اهم الأهداف التي كانت تسعى لتحقيقها .

5- على الرغم من كل المكانيات البشرية والمادية التي قدمتها إيطاليا لمدارسها كي تحقق أهدافها الا انها لم تنجح في ذلك بسبب تظافر عدة عوامل وأسباب ، لعل عدم رغبة المواطن في التعامل معهم وعزوف الأهالي عن ادخال أبنائهم الى هذه المدارس والخوف عليهم ، من اهم هذه الأسباب

قائمة المصادر والمراجع

اولاً : المصادر

أ ـ الوثائق غير المنشورة .

(1) دار المحفوظات التاريخية بمركز الجهاد ، ملف التعليم ، وثيقة رقم (1988)

ب . المقابلات الشخصية

(1) ـ مقابلة شخصية مع الشيخ خليفة الغرباوي ، مصراتة ، 2004/12/20م

(2) مقابلة شخصية مع الشيخ عمر الكيلاني الجروشي ، مصراتة 2005/9/29م

ج : الكتب المطبوعة

(1) جورج ريمون ، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا 1912م، ترجمة : محمد عبدالكريم الوافي، ط1 ، منشورات المنشأة العامة للنشر والتوزيع طرابلس .

(2) رولاندودي ماركو ، طلينة الافارقة للتعليم المحلي الحكومي في المستعمرات الإيطالية 1890 ـ 1937م ، ترجمة : عبدالقادر المحيشي ، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1988م

(3) زعيمة الباروني ، صفحات خالدة من الجهاد ، منشورات مطابع الاستقلال الكبرى د.م ، 1964م

(4) ليوناردو أبتلون ، سياسة التعليم الإيطالي إزاء العرب الليبيين ، 1911 ـ 1922م ، ترجمة : مصطفى المحيشي ، ط1 ، منشورات دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 1999م

(5) محمد فؤاد شكري ، السنوسية دين ودولة ، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1948م

(6) ن . ابروشين ، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م ، ترجمة : عماد الدين غانم ، منشورات مركز الجهاد للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1988م

ثانياً المراجع :

(1) ـ احمد محمد القماطي ، تطور الإدارة التعليمية في ليبيا ، 1951 ـ 1975م ، ط1 ، منشورات الدار العربية للكتاب ، بيروت ، 1978م

(2) ـ إسماعيل مولود الغزوي ، التمهيد الثقافي الإيطالي للغزو العسكري لليبيا 1882 ـ 1911م ، ط1 ، منشورات المجلس القومي ، الرباط ، 1993م

(3) ـ تيسير بن موسى ، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني ، ط1 ، منشورات الدار العربية للكتاب ، ليبيا ، 1988م

(4) ـ حسن علي خشيم ، صفحات في الجهاد الوطني ، ط1 ، منشورات دار مكتبة الفكر ، طرابلس ، 1972م

(5) ـ خليفة محمد التليسي ، بعد القرضابية دراسات في تاريخ الاستعمار الإيطالي بليبيا 1922م ـ 1930 م ، ط2 ، منشورات الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، 1978م

(6) رأفت غنيمي الشيخ ، تطور التعليم في ليبيا في العصور الحديثة ، ط1 ، منشورات دار التنمية والتوزيع ، بنغازي ، 1972م

(7) سعيد عبدالرحمن الحنديري ، قصائد الجهاد ، ط1 ، منشورات الجهاد الليبي للدراسات التاريخية ، طرابلس ، 1978م

(8) صلاح الدين السوري ، الغزو الإيطالي في ليبيا دراسة في العلاقات الليبية ط1 ، منشورات الدار العربية للكتاب ، بيروت ، 1983م

(9) عبد العزيز زوارة ومصطفى الشناوي ، صورة من تطور المجتمع الليبي ، ط1 ، منشورات دار ليبيا للنشر ، بنغازي ، 1967م

(10) عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم ، الاستعمار الإيطالي واثره على العروبة والإسلام في افريقيا ـ دراسة للأثار السلبية للاستعمار ، تحرير : جمال زكريا قاسم ، معهد البحوث والدراسات التاريخية ، القاهرة ، 1977م

(11) عبدالمنصف حافظ البوري ، الغزو الإيطالي لليبيا ، دراسة في العلاقات الدولية ط1 ، منشورات الدار العربية للكتاب ، طرابلس ، 1985م

(12) عمر بن إسماعيل ، المؤتمر التاريخي الأول ـ ليبيا في التاريخ ، منشورات الجامعة الليبية ، كلية الاداب ، 1968م

(13) مصطفى سعد الهاين ، اثر العامل الديني في الجهاد الليبي ، ط1 ، منشورات دار الكتّاب ، طرابلس ، 1980م

(14) مصطفى عبدالرحيم ابوعجيلة ، زاوية الامام زروق بمصراتة ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا ، ط1 ، منشورات دار رباح للطباعة والنشر، ج1 ، مصراتة ، 2001م

(15) منصور عمر الشتيوي ، الغزو الأيطالي لليبيا ، ط1 ، مؤسسة الفرجاني ، طرابلس ، 1989م